ISSN: 1812-0512 (Print) 2790-346X (online)

Wasit Journal for Human Sciences

Available online at: https://wjfh.uowasit.edu.iq

Original article

The Symbolic Environment in the Poetry of Fadwa Tuqan: An Analytical Study of Imagery and Significations

Athraa Abd Ali Mahdi Al-Quraishi

Department of Arabic Language, College of Arts, Wasit University

***Correspondence author**:
athraam@uowasit.edu.iq

Received:25 February 2026
Accepted: 28 **April** 2026
Published: 25 August 2026

DOI:
https://doi.org/10.31185/wjfh.Vol22.Iss3/Pt3.1708

1812-0512 /© 2026 The Author(s). Published by Wasit Journal for Humanities Sciences, Wasit University. This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/).

Cite:
Al-Quraishi, A. . A. A. M. (2026). The Symbolic Environment in the Poetry of Fadwa Tuqan: An Analytical Study of Imagery and Significations. Wasit Journal for Human Sciences, 22(3/Pt3). https://doi.org/10.31185/wjfh.Vol22.Iss3/Pt3.1708

ABSTRACT

The environment in the poetry of Fadwa Tuqan transcends its traditional descriptive function to become a powerful medium for expressing human and psychological experiences. It reflects an inner emotional state characterized by a blend of sorrow, hope, and solitude, while simultaneously carrying profound national symbolism that embodies the land and Palestinian cities as representations of identity, belonging, and struggle. The environment also emerges as a mirror of social relations and societal transformations, granting environmental symbols multiple interpretive dimensions and enabling the reader to engage deeply with the text and continuously derive new meanings. Tuqan relies on environmental imagery to enhance artistic expression through devices such as simile, metaphor, and personification, thereby enriching her poetry with semantic depth and stylistic dynamism. Consequently, the environment in her poetic texts becomes a vital and autonomous element within the creative structure, rather than merely serving as a secondary backdrop.

Keywords: Environment symbolism, poetry, Fadwa Toukan, study analysis, images, connotations

البيئة الرمزية في شعر فدوى طوقان
دراسة تحليلية للصور والدلالات

م. م. عذراء عبد علي مهدي القريشي
كلية الآداب، جامعة واسط

المُستخلص

البيئة في شعر فدوى طوقان تتخطى الدور الوصفي التقليدي لتتحول إلى وسيلة تعبير عن التجارب الإنسانية والنفسية. فهي تعكس الحالة الشعورية الداخلية كمزيج من الحزن، الأمل، والوحدة، كما تحمل رمزية وطنية عميقة تُجسّد الأرض والمدن الفلسطينية باعتبارها تمثل الهوية والانتماء والنضال. وتبرز البيئة أيضًا كمرآة للعلاقات الاجتماعية ولتغيرات المجتمع، ما يمنح الرموز البيئية أبعادًا متعددة للتأويل، ويتيح للقارئ الانغماس في النص واستخلاص معانٍ جديدة باستمرار. تعتمد طوقان على الصور البيئية لتعزيز التعبير الفني عبر أدوات مثل التشبيه، الاستعارة، والتجسيد، مما يضفي على شعرها غنى دلاليًا وديناميكية أسلوبية. وهكذا تصبح البيئة في نصوصها الشعرية عنصرًا حيويًا وقائمًا بذاته في البناء الإبداعي، بدلاً من أن تظل مجرد خلفية ثانوية.

الكلمات المفتاحية: البيئة الرمزية، شعر، فدوى طوقان، دراسة تحليلية، الصور، الدلالات

المقدمة:

تسعى هذه الدراسة إلى استكشاف البعد الرمزي للبيئة في شعر فدوى طوقان عبر ثلاثة محاور رئيسة تهدف إلى الكشف عن دلالاتها الفنية والرمزية. يتناول المحور الأول كيفية تجسيد البيئة للتجربة النفسية والإنسانية، مستعرضًا دور عناصر الطبيعة والمكان كرموز تعكس مشاعر القلق، الألم، والأمل.

ويركز المحور الثاني على الأبعاد الوطنية للبيئة، من خلال تحليل رمزية الأرض، المدينة، والعناصر التي تعبر عن الهوية والانتماء، خاصة في سياق القضية الفلسطينية والصراع التاريخي المرتبط بها. أما المحور الثالث فيعنى بدراسة التشكيل الفني للرمز البيئي، وآليات تجسيده عبر الأساليب البلاغية، مع إبراز ما يوفره من تنوع تأويلي وعمق دلالي، إذ يعد شعر فدوى طوقان من أبرز الإبداعات الأدبية في السياق الفلسطيني الحديث، لما يتميز به من عمق إنساني ورمزية مكثفة تتخطى حدود التعبير المباشر. ولعبت البيئة دورًا محوريًا في تشكيل نصوصها الشعرية، حيث لم تقتصر على كونها مجرد إطار مكاني أو وصف طبيعي، بل تداخلت بعمق مع التجربة الشخصية والهم الوطني، لتسهم في بناء رؤية شعرية متكاملة. انطلاقًا من هذا المفهوم يمكن تسليط الضوء على أن البيئة في شعر فدوى طوقان ليست مجرد عنصر ثانوي أو تكميل لقصائدها، بل تمثل جوهرًا أساسيًا في بناء المعنى ومحورًا تتلاقى فيه الأبعاد النفسية، والوطنية والفنية ضمن إطار شعري ينبض بالتماسك والابداع.

المبحث الأول

الإطار المفاهيمي والنظري:

أولاً: مفهوم البيئة

البيئة لغةً: البيئة عند علماء اللغة مشتقة من باء(بوأ)، ويعني المنزل أ

والمكان (ابن منظور،1424هـ، ص76)، وقد ورد ذكر البيئة في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ**﴾ (سورة العنكبوت: 58)

البيئة اصطلاحاً: مجموعة من النظم الطبيعية والاجتماعية التي تعيش فيها الكائنات وتمارس فيها نشاطها، ونستعمل فيها مقومات حياتنا، ويشمل العوامل الخارجية عن ذات الإنسان وكل ما يحيط به سواء بشكل مباشر أو غير مباشر (الكبيسي،2018م، ص. 47_48)

على الرغم من تعدّد الدلالات التي اكتسبها مصطلح البيئة عبر اتجاهات معرفية متباينة وفي أطر نظرية متعددة، فإن هذا التباين لا يشكّل محور اهتمام هذا البحث، لأن غايته الأساسية تتمثل في إبراز الصورة المشرقة لأدبنا العربي حين التفت مبكرًا إلى أثر البيئة في الإنسان، قبل شيوع المصطلحات الحديثة المرتبطة بقضايا التلوث والحفاظ على الموارد، ومن هذا المنطلق، يسعى البحث إلى بيان كيفية توظيف الأدب العربي لمعطيات البيئة المحيطة توظيفًا يكشف طاقاتها الجمالية والحضارية، ويبرز دور الإنسان في استثمارها بصورة رشيدة تخدم تطوّره وتوازن علاقته بها(ثامر،2019 ، ص. 247)

ثانياً: مفهوم الرمز في النقد الادبي:

_لغة: جاء في لسان العرب "لابن منظور „، إن الرمز تصويت خفيّ باللسان كالهمس وتحريك الشفتين، بكلام غير مفهوم باللفظ من غير إبانة بالصوت، وإنما هو إشارة بالشفتين، وقيل الرمز إشارة وإيماء بالعين، والحاجبين، والفم والشفتين والرمز في اللغة كل ما أشرنا إليه مما بيان بلقط بأي شيء أشرت إليه بيد أو بعين ورمز يرمز رمزا! (ابن منظور ،2005، ج5، ص. 222_223) وقد ورد لفظ الرمز في القرآن الكريم بصيغة المصدر، في معرض الحديث عن قصة سيدنا زكريا عليه السلام في قوله تعالى "قال ربي اجعلني أية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا وأذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والإبكار"(سورة آل عمران:41)

_اصطلاحاً:

الرمز هو تعّمد استعمال كلمةٍ أو عبارة لتدل على شيء آخر، وبصفته ركن من أركان الثلاثية (رمز–أيقونة –إشارة) التي طرحها" شارل سانرز بيرس "في تصوره للعلامة وتدل على موضوعها دون ان تقوم العلاقة فيها على الشبه كما في الايقونة، أو على المجاورة كما في الاشارة (بوصلاح،2003، ص. 70_71)

ومن بين التعريفات التي تحدد الرمز في مجاله العام ما جاء في معجم أوكسفورد'"على أنه ما يدل على شيء غير ذاته، أو على شيء مكمل لذاته أي أنه يمثل أشياء خارجة عنه، ويصورها شريطة أن تكون هذه الأشياء مرتبطة بالرمز ذاته بطريقة ملائمة ودون تعسف"(شعبو،2006، ص. 38)، وتختلف دلالة الرمز حديثاً عن دلالته فيما مضى، وذلك عبر علم الدلالات والاشارات، ولعّل الرمز كان سابقاً للدلالة على حضارات الشعوب واديانها، اما في يومنا هذا فقد يحمل دلالات أخرى، فالرمز "علامة تعريف"(الكيمي، 2024، ص. 139)

ثالثاً: البيئة الرمزية

اهتمَّ الشعراء بالرمز؛ وذلك لما يحمله من دلالاتٍ ترتقي بالشعر، وتجعله قريبًا إلى نفس القارئ أو المتلقِّي إذا كان بعيدًا عن التعمية والتعتيم، والرمزيةُ هي محاولةٌ من الشعراء للإدراك والإبلاغ، وهي حالةٌ من الوضوح بعد أن كانت مبهمةً، ويقومُ الشعراءُ بتسخير المرموز في أشعارهم لخدمة أغراضهم (حسين،2025، ص. 21) اي كيف يمكن لعناصر الطبيعة، كالارض والشجر

والجبل في شعر فدوى طوقان، أن تتجاوز كونها مجرد مكونات جغرافية لتصبح رموزاً تحمل أبعاداً وطنية ووجدانية تعكس عمق التجربة الإنسانية والانتماء.

تبيّن ممّا تقدم أنَّ الرمزيةَ البيئيةَ أسهمت في كشف طبيعة العلاقةَ بين الإنسان والبيئة، إذ جرى توظيف الرموز البيئية للتعبير عن الوعي بالبيئة والتفاعل معها، كما حملت هذه الرموز دلالاتٍ فكريةً وثقافيةً عكست رؤية المجتمع تجاه البيئة المحيطة به.

المبحث الثاني

البيئة الرمزية في شعر فدوى طوقان

تعد فدوى طوقان إحدى الشخصيات الشعرية الفلسطينية البارزة في الأدب العربي الحديث، إذ تبلور في تجربتها تفاعل بين الذات الوطنية والذاتيَّة الأنثوية، وقد اتّسم شعرها بتوظيف مكثّف لعناصر البيئة الطبيعية والمكانية بحيث تتجاوز هذه العناصر حدود الوصف الحسي إلى دلالات رمزية تعبّر عن عمق الوجود الفردي والجماعي.(صرصور،2010، ص. 110) إن قراءة الرمز في شعر طوقان تُظهِر أن البيئة عندها لا تظلّ مجرد خلفية بل تتحوّل إلى معنى دلالي فاعل ينسجم مع القضايا النفسية والوطنية على حد سواء، مما يجعل موضوع البيئة الرمزية في شعرها جديراً بالتحقيق النقدي، وقد وجدت الدراسات أن رموز الطبيعة والمكان لدى طوقان تحمل دلالات تتجاوز الغاية الجمالية إلى التعبير عن التجربة الذاتية والوطنية بوضوح(زواهرة، 2011)

أولاً: البيئة في شعر فدوى طوقان

_حضور الطبيعة:

إنّ الشاعرة لا تستدعي عناصر الطبيعة لذاتها، بل توظّفها بوصفها رموزًا حاملة للمعنى، تنقل حالته النفسية ورؤيته الفكرية إلى القارئ، فالعلاقة بين الشاعر والطبيعة ليست علاقة وصف خارجي، وإنما علاقة تفاعل دلالي يَشحن الأشياء الطبيعية (الأرض، الشجرة، الريح، المطر، البحر، القمر...) بطبقات من الإيحاء، بحيث تتحول هذه العناصر إلى لغة ثانية موازية للغة المباشرة، وبذلك يصبح الرمز الطبيعي أحد أهم أدوات التصوير الرمزي؛ إذ يُثري التجربة الشعرية، ويمنحها الخصوصية والتفرّد، لأنه يتيح للشاعر أن يعبّر عن المعاني العميقة — الوجودية والوجدانية — دون اللجوء إلى التصريح المباشر كما يلعب السياق الشعري دورًا أساسياً في تحديد دلالة الرمز وتوجّهه، إذ لا تكتسب المفردة قيمتها الرمزية لذاتها، بل حسب موقعها في النسيج النصّي والعلاقات التي تنشئها مع باقي الصور. ومن هنا تتكرّر بعض الرموز الطبيعية في شعر الشاعر، فتتكوّن منها شبكات دلالية متنامية تشير إلى الثبات، أو المقاومة، أو الأمل، أو الفقد... إلخ. ويبرز هذا بوضوح في شعر فدوى طوقان، حيث تتحول الطبيعة إلى ستار تعبيري تستتر خلفه التجربة الذاتية، وتستمد القصيدة منه مسحة جمالية وإيحائية عميقة، في إطار يقترب من الحسّين الرومانسي والرمزي في آنٍ معًا (أحمد،1984، ص. 199)

تقول فدوى في قصيدة الصيرورة:

هبي وسوقي نحونا السحاب يا رياح

وانزلي الأمطار

تظهر الهواء في مدينتي

وتغسل البيوت والجبال والاشجار

هبي وسوقي نحونا السحاب يا رياح

ولتنزل الأمطار

ولتنزل الامطار (طوقان،1993، ص. 379)

يبرز الرمز الطبيعي في المقطع الشعري من خلال استحضار عناصر الطبيعة، لاسيما الرياح والأمطار، باعتبارها إشارات تعكس الحالة الشعورية للشاعر، فالريح ترمز إلى الحركة والاضطراب، مما يجسد القلق الداخلي والرغبة في التغيير، بينما تشير الأمطار إلى التجدد وبعث الأمل، ولم ترد هذه العناصر فقط كصور وصفية سطحية، بل تجاوزت ذلك لتحمل معاني نفسية عميقة، تعبر عن صراع الذات بين الانكسار والتطلع نحو التحول.

_حضور المكان

إذ تجلى رمز المدينة في شعر فدوى والذي يحمل لنا دلالات متنوعة تتشكل حسب الظروف السياسية والاجتماعية التي تعيشها مدينتها، إذ نجد الشاعرة تظهر في قصيدتها" مدينتي الحزينة"

أن نكسة 1967 كانت ثمرة من ثمار التخاذل العربي تقول:

يوم رأينا الموت والخيانة

تراجع المد

وأغلقت نوافذ السماء

وأمسكت أنفاسها المدينة

يوم اندحار الموج، يوم أسلمت

بشاعة القيعان للضياء وجهها، ترمد الرجاء

واختنقت بغصة البلاء

مدينتي الحزينة (طوقان،1993، ص. 370)

القصيدة تعالج قضية مأساوية تجمع بين الخيانة والموت واليأس، حيث تمثل المدينة فضاءً رمزيًا يعكس حالة المجتمع أو الإنسان أمام الكوارث الداخلية والخارجية.

ثانياً: تحوّلات البيئة إلى رمز

_البيئة بوصفها رمزًا للوطن

عبّرت فدوى عن حبّها العميق للوطن وارتباطها الروحي بالأرض، وأنّ الوطن ليس مجرّد مكانٍ للعيش، بل جزءٌ من الهوية والوجود الإنساني،

كفاني أموتُ عليها وأدفنُ فيها

وتحتَ ثراها أذوبُ وأفنى

وأبعثُ زهرةً إليها (طوقان،1993، ص. 322)

عكست الشاعرة في قصيدتها(وطني) تجربة وطنية ذات عمق وجودي، إذ يتحول الوطن إلى رمز أساسي يتعدى كونه مجرد مكان ليصبح كياناً وجودياً، تنصهر فيه الذات بشكل كامل ويتضح فيه الرمز في تصوير الارض باعتبارها أماً وهوية ومصيراً مشتركاً، فيما تظهر ألفاظ مثل الموت، والدفن ن والذوبان، كإشارات إلى التضحية والاندماج التام، وليس للفناء بمعناه الحرفي.

_البيئة بوصفها رمزاً للمعاناة والمقاومة

تمثل المعاناة المقاومة محوراً أساسياً في الشعر الفلسطيني، إذ تعكس النصوص الادبية حجم الالم الجماعي للشعب تحت وطأة الاحتلال، وفي الوقت ذاته روح الصمود والتحدي في شعر فدوى، تظهر البيئة والصور الطبيعية ليس فقط كخلفية، بل رموز تعكس حجم المعاناة والالم.

تقول الشاعرة في قصيدتها (لن أبكي)

على أبواب يافا يا أحبائي

وفي فوضى حطام الدور، تحت اردمِ والشوكِ

وقفت أقولُ للعينيّ: قفا نبكِ

على أطلال من رحلوا وفاتوه

تنادي من بناها الدارُ وتنعى من بناها الدارُ (طوقان،1993، ص. 372)

تركز المقاطع على تحويل يافا إلى رمز يمثل الهوية والذاكرة الضائعة، بدلاً من اعتبارها مجرد مكان جغرافي، تتجلى صور الحطام والردم كتعبير عن الخراب الشامل الذي اصاب المكان وسكانه في آن واحد، يُستدعى اسلوب الوقوف على الاطلال كتناص شعري يُعاد توظيفه للرثاء على الوطن بدلاً من المنازل فقط، مما يعّمق دلالة الحنين والفقد.

_البيئة بوصفها رمزاً للذات الانثوية

إن الذات الأنثوية محورًا أساسيًا في الشعر النسوي الحديث، إذ تمثل المشاعر الداخلية، الهوية، والصراع النفسي والاجتماعي للمرأة، وتعكس الكتابة الأنثوية علاقة المرأة بالبيئة والطبيعة كامتداد لتجربتها الذاتية، حيث تتحول العناصر الطبيعية من مجرد خلفية وصفية إلى رموز حية تعبر عن معاناتها، صمودها، وقدرتها على المقاومة (عبد السلام،2016، ص. 208) وفي شعر فدوى طوقان، تتجلى الذات الأنثوية في ارتباطها الوثيق بالطبيعة الفلسطينية، كالأرض والزيتون والجبال، التي تصبح مرايا لخبراتها ومقاومتها الفردية والوطنية.

تقول الشاعرة فدوى طوقان في قصيدتها (عروس الجبال)

نجّيتي انتِ وقد عز النجاءُ نجَّ روحي يا عروسَ الجبال

دعي فؤادي يشتفي منه لعل في النجوى شفاء لعللي (طوقان،1993، ص. 29)

تتخطى الشاعرة في هذا النص حدود الوصف التقليدي للطبيعة، لُتدخل القارى إلى عالم الأنسنه الرمزية، حيث يتحول الجبل (عروس الجبال) من مجرد كيان جامد إلى ذات مرآوية تعكس قلق الشاعرة وجودياً واغترابها، إذ إن البيئة الجبلية هنا ليست مجرد خلفية مكانية، بل تحمل دلالة رمزية على الاستقرار والعلو، في مواجهة التفتت الداخلي وانكسار النفس، وبالتالي، تصبح المناجاة مع الطبيعة وسيلة رمزية تسعى من خلالها الشاعرة الى استعادة الانسجام النفسي.

المبحث الثالث

التحليل التطبيقي للبيئة الرمزية في شعر فدوى طوقان

بعد استكشاف مفهوم البيئة الرمزية في شعر فدوى طوقان في المبحث الثاني، ودراسة أبعادها النظرية ووظائفها الدلالية والجمالية، تنتقل هذه الدراسة إلى مستوى تطبيقي، بتحليل نماذج شعرية تمثل مراحل مختلفة من المسيرة الإبداعية للشاعرة، يهدف هذا التحليل إلى الكشف عن كيفية تشكّل البيئة الرمزية في النصوص الشعرية، وكيفية استخدام العناصر الطبيعية والإقليمية للتعبير عن التجارب النفسية والوجودية، وبالتالي التعبير عن الهموم الوطنية والجماعية، متجاوزةً نطاق الوصف المباشر أو التصريحات البلاغية.

أولا: البيئة الرمزية (الذات والاغتراب) في الشعر المبكر

تتسم أشعار فدوى طوقان المبكرة بطابع ذاتي قوي، حيث تتداخل التجارب النفسية مع العناصر البيئية، فالطبيعة والمكان بمثابة مرايا تعكس الوحدة والقلق والاضطراب الداخلي، في هذه المرحلة، لا يُنظر إلى البيئة كواقع خارجي مستقل، بل كرمز تعبيري وثيق الصلة بالشاعرة نفسها.

_الليل والصمت بوصفهما رمزين نفسيين:

تقول الشاعرة: في قصيدة (وحدي مع الايام)

وحدي مع الايام

والصمتُ يطبقُ في المساء

والليلُ يمدّ عليّ ستائره

فأغدو في الفراغ

بلا نداء (طوقان،1952، ص. 95)

يُظهر هذا المقطع بوضوح كيف تتحول عناصر البيئة الطبيعية إلى رموز نفسية ذات بُعد وجودي، فالليل ليس مجرد وظيفة زمنية محايدة، بل يُستعمل كرمز للانغلاق والعزلة، كـ"إسدال ستارة"، مما يُعمّق الشعور بالاختناق من خلال الإخفاء القسري والحصر، من جهة أخرى، يتجاوز الصمت معناه السمعي، ليصبح دلالة على انقطاع التواصل وعجز الذات عن التعبير أو الفعل، متحولًا إلى قوة ثقيلة خانقة تُثقل كاهل الوجود، إذ يرتبط كلا الرمزين بالفراغ، ممثلين أقصى درجات الوحدة والعبث، مما يُبرز الطبيعة النفسية العميقة للبيئة الرمزية في هذه المرحلة(صلاح، 1992، ص. 78)

يكشف هذا الاستعمال عن فهم مبكر للمعنى الرمزي للبيئة؛ إذ تُمنح العناصر الطبيعية دلالات نفسية تتجاوز دلالتها الحسية المباشرة، لتصبح لغة داخلية تُعبّر عن الاغتراب والانسحاب دون اللجوء إلى التعبير المباشر.

***المكان المغلق ورمز الحصار الداخلي:**

تستحضر الشاعرة فدوى طوقان في قصيدتها (أمام الباب المغلق)

هلا تفتح لي هذا الباب

رحابك مغلقة في وجهي، غارقة في الصمت

لا شيء هنا غير الوحشة والصمت وظلّ الموت (طوقان، 1967، ص. 98)

يظهر المقطع بشكل واضح كيفية تحول عناصر المكان المغلق إلى رموز تحمل أبعاداً نفسية ووجودية، الباب المغلق، على سبيل المثال، ليس مجرد عنصر معماري في الفضاء المحيط، لكنه يرمز إلى الحصار الداخلي والعزلة التي تحيط بالذات، إذ يعبر عن الحاجز الذي يحول دون الوصول إلى الأمان والانفتاح على الآخر، مشدداً بذلك على الشعور بالاختناق وألاحتصار النفسي، أما الصمت، فإنه يتجاوز مفهومه الصوتي ليعكس حالة من الانفصال وانعدام القدرة على الافصاح أو أتخاذ اي فعل؛ يتحول إلى عبء ثقيل يختنق الوجود، في مشهد قريب من الظلال أو الفراغ الذي يشير إلى الاغلاق النفسي والانعزال، أما الوحشة وظل الموت، يجسدان أسمى معاني الفراغ والعزلة والاغتراب النفسي، إذ تتحول البيئة المحيطة إلى انعكاس مباشر لحالة الشعورية للفرد ، مما يمنح المكان بعداً وجدانياً عميقاً اضافياً على الاحساس بالعزلة.

مما تقدم يمكن القول: ان البيئة الرمزية في المرحلة المبكرة تعد وسيلة نفسية بحتة، إذ تعبر عن اغتراب الذات وانكسارها، من دون أن يكون لها صلة مباشرة بالبعد الوطني أو الجماعي.

ثانياً: البيئة الرمزية والتحول الوطني في شعر فدوى طوقان

مع تطور تجربة فدوى طوقان الشعرية، خاصة عقب نكسة 1967، طرأ تغيير ملحوظ على الدلالات المرتبطة بالرموز البيئية، إذ تتحول من التعبير عن المشاعر الذاتية إلى تجسيد الهموم الوطني والجماعي، فتصبح عناصر الطبيعة والمكان رموزاً تشكل أدوات للمقاومة والصمود، وتعبر عن التمسك بالهوية والثبات.

***البيئة رمزاً للثبات والانتماء:**

تقول الشاعرة في قصيدتها (لن ابكي)

أحبائي

مسحتُ عن الجفون ضبابة الدمع الرمادية

لألقاكم وفي عينيَّ نور الحب والإيمان

بكم، بالأرض، بالإنسان

وأزرعُ مثلكم قدميَّ في وطني

وفي أرضي (طوقان،1967، ص. 83)

يتناول هذا المقطع كيف تتحول الارض في قصيدة(لن أبكي) من مجرد مساحة جغرافية صامته إلى رمز محوري يحمل ابعاداً إنسانية ووطنية، فالأرض ليست مجرد مكان جامد، بل كيان نابض يتماهى مع الانسان الفلسطيني، إذ يتداخل وجودها بوجوده في علاقة مصير مشترك، ويبرز هذا التداخل بوضوح من خلال الجمع بين الارض والإنسان في صيغة واحدة، مما يذيب الحدود بين الطبيعي والبشري، ويحوّل البيئة إلى رمز يحمل معاني الهوية والكرامة ، كما أن استعمال فعل (أزرع) يتجاوز معناه الحسي

إلى مباشر ليصبح تعبيراً عن الجذور والاستمرار، فالإشارة إلى غرس القدمين في الأرض لا تُفهم كحركة مكانية بسيطة، بل تشير إلى فعل مقاومة يحمل رمزاً للاقتلاع والهزيمة، تعكس هذه الصورة تحولاً ملحوظاً في توظيف البيئة الشعرية، إذ انتقلت من إطار نفسي ذاتي ارتبط بالمرحلة المبكرة من أعمال فدوى طوقان، إلى رمز وطني جماعي يعبر عن الصمود والثبات في وجه الاحتلال.

ويمكن القول: إن هذا التوظيف يبرز أن البيئة في هذه القصيدة لم تعد مجرد تعبير عن مشاعر فردية، بل أصبحت رمزاً جماعياً يعكس الوعي الوطني، ويمزج بين الطبيعة والهوية والمصير المشترك.

***المدينة بوصفها جسداً جريحاً:**

يتجلى الرمز المكاني في قصيدة (إلى أخي) من خلال تصوير المدينة ككيان يعاني الجراح، كما تعبر عنه الشاعرة:

مدينتنا الجريحة

تشرب الحزن في صمتٍ

وتخبئ في جدرانها

صرخةً لا تموت... (طوقان،1952، ص. 64)

يعرض هذا النص تحول المدينة من مجرد مساحة مكانية محايدة إلى كيان متألم يتماهى مع الإنسان، فالمدينة لا تُصور كعمران أو مكان للسكن فقط، بل تبدو ككائن حي يمتص الحزن ويضمن ألمه في صمت، ما يعبر عن معاناة، مكبوتة ممتدة عبر الزمن، في هذا السياق، تكسب الجدران بعداً رمزياً يتجاوز دورها المادي، إذ تصبح وعاءاً للذاكرة والالم، تحتوي صرخات لا تموت، بما يشير إلى استمرارية المعاناة ورفض النسيان أو الفناء، من هنا يتحول المكان إلى حامل للوعي الجمعي، متجاوزاً كونه مجرد خلفية للإحداث.

يمكن القول: إن هذا الاستخدام الرمزي يعكس انتقال البعد البيئي من مستوى الفردي النفسي إلى الوطني الجماعي، إذ تتشابك المدينة مع الإنسان في تجربة الألم والصمود، وتصبح البيئة وسيلة تعبير رمزية عن جرح الوطن وخلوده في الذاكرة الجمعية.

ثالثاً: الوظائف الدلالية والجمالية للبيئة الرمزية

تضطلع البيئة الرمزية في شعر فدوى طوقان بأدوار متعددة ومترابطة، يمكن تلخيصها فيما يلي:

1_ الوظيفة التعبيرية: توظف البيئة الرمزية عناصرها الطبيعية لتعبير الشاعرة عن حالاتها النفسية والانفعالات الداخلية، مما يتيح المجال لتشكيل هذه التعبيرات في سياقات ذاتية ووطنية بشكل متزامن، في هذا الإطار، تصبح الظواهر الطبيعية وسيلة لغوية تُستخدم عوضاً عن الإفصاح المباشر عن المشاعر والاحاسيس الداخلية، مما يضفي طابعاً فنياً على عملية التعبير (هلال، 1969، ص 385).

كقول الشاعرة في قصيدتها:(الى الريح)

ياريحُ ياريحُ، صبيّ جمَ غضبكِ في القفارُ

فأنا وقلبي، في جحيمِ النار، في أيدي الدمار (طوقان، 1952، ص. 75)

في هذا النص، لا تشير كلمة (الريح) إلى مجرد ظاهرة مناخية، بل تحمل رمزية ترتبط بالانفجار النفسي والتمرد على واقع مكبوت، لقد انتقلت الشاعرة من مجرد تصوير الطبيعة ووصفها إلى استنطاقها بحس شعوري عميق يعبر عن صراعها الداخلي.

2_الوظيفة الرمزية: عندما تحمل العناصر البيئية دلالات تتجاوز معناها المباشر، تكتسب رمزية أعمق تؤثر في المعاني والمشاعر، تتحول الأرض إلى رمز يعبر عن الوطن والانتماء، أما البيت فيصبح تجسيداً للأمان الذي قد يكون مفقوداً، اما المدينة، فتُمنح دلالة تمثل الهوية الجماعية وروح المجتمع (مطلوب،1988، ص. 708)

قول الشاعرة في قصيدتها: (صلاة الى العام الجديد)

أعطنا حباً، لعلَّ الأرضَ تعطينا ثماراً

أعطنا حباً، فنبني كُلَّ خراباتِ الديارِ

أعطنا أجنحةً نفتحُ بها أفقاً جديداً (طوقان،1993، ص. 385)

توظف الشاعرة في هذه المقطوعة رموزاً بيئية مثل الثمار والخربات والأفق، إذ تحمل هذه الرموز دلالات تتجاوز معناها الحرفي، فالثمار ليست مجرد محصول زراعي، بل تمثل نتائج الكفاح والمثابرة، اما الافق، فهو يعبر عن التطلع نحو الحرية والتحرر من قيود الاحتلال، في حين تعكس الديار الخربة واقع النكبة وما ترتب عليها.

3_الوظيفة الجمالية: يسهم الرمز البيئي في تعزيز البنية التصويرية للنص الشعري، مما يفتح المجال امام النص للتفاعل مع مستويات متباينة من التأويل، وبذلك يتجاوز الاسلوب المباشر والتقريري، ليمنح شعر فدوى طوقان قيمه فنية وجمالية عالية المستوى (عصفور،1883، ص 204)

ففي توظيف الشاعرة لرمز (الزيتون) في قصيدتها (لن نرحل)

ستظلّ جذورنا حيّة..

تشربُ صمتَ الأرضِ وتنمو (طوقان،1969، ص. 509)

يبتعد الزيتون هنا عن دورة الزراعي التقليدي ليغدو رمزاً جمالياً يحمل دلالات الصمود الأسطوري، هذا التوظيف الفني يضفي على النص عمقاً ابداعياً مميزاً، إذ تمتزج القيم الجمالية للطبيعة مع البعد الاخلاقي للمقاومة، مما يرفع من القيمة الفنية للعمل.

النتائج:

تُظهر المباحث الثلاثة

* إن البيئة الرمزية في شعر فدوى طوقان تشكّل بنية متكاملة تحمل في طياتها أبعاداً دلالية وجمالية عميقة، بعيدة عن أن تكون مجرد عنصر توصيفي أو خلفية مكانية محايدة.

* تناول المبحث الأول مفهوم البيئة في سياق النقد الأدبي الحديث، وبيّن أن هذا المفهوم يتجاوز الحدود التقليدية للمكان والطبيعة، متحولاً إلى إطار رمزي يضمّن التجربة الإنسانية والنفسية داخل النص الشعري، مما يشكّل قاعدة نظرية لفهم طريقة توظيف فدوى طوقان للبيئة كأسلوب رمزي وليس وصفاً سطحياً.

* أما المبحث الثاني، فسلط الضوء على الإدراك الواعي والإرادة الفنية التي اعتمدتها الشاعرة في توظيف البيئة الرمزية، إذ جعلت عناصر الطبيعة والمكان ادوات للتعبير عن الذات الفردية وما تعيشه من معاناة، وفي الوقت ذاته وسيلة لنقل الهم الوطني والقضية الفلسطينية، وساهم هذا المزج بين البعدين الشخصي والجمعي في إضافة عمق دلالي لشعرها.

* بينما أظهر المبحث الثالث من خلال تحليل تطبيقي أن البيئة الرمزية تؤدي دوراً جوهرياً في بناء الصورة الفنية، إذ تنسجم مع اللغة الشعرية لتخلق صوراً كلية تربط بين العالم الداخلي النفسي والخارجي البيئي، مما أتاحه مساحة واسعة للتأويل المتعدد.

وبناءً على هذه النتائج، يتضح أن البيئة الرمزية تمثّل أحد المحاور التعبيرية الاساسية في شعر فدوى طوقان، فهي عامل محوري أسهم في منح تجربتها الشعرية خصوصيتها وفي تحقيق توازن بين البعد الإنساني والوطني، ضمن هيكل فني متكامل يعكس دلالات واضحة وشمولية.

المصادر والمراجع:

ابن منظور،1424هـ، لسان العرب، باب الألف، فصل الباء فالواو، مادة (ب، أ)، دار الكتيب العلمية، ط1، بيروت _لبنان.

https://www.alarabiahconferences.org/wp-content/uploads/2019/09/conference_research-802789851-1436354361-1238.pdf

أبو صلاح نسيمة أبو، 2003، تجلي الرمز في الشعر الجزائري المعاصر، رابطة أبداع الثقافة الوطنية، الجزائر.

أحمد، محمد فتوح،1984، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ط3، مصر.

بدران، محمد أبو الفضل، أهمية النقد الادبي البيئي في الدراسات النقدية، المؤتمر الدولي الرابع للغة العربية.

ثامر، عبد الرحمن حميد، 2019، الأدب العربي والبيئة، كلية المعارف الجامعة.

جيليا، جميل، 1982، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانكليزية واللاتينية، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

حسين، يوسف علي،2025، تجليات البيئة ورمزيتها في شعر ذي الرمة: دراسة نقدية ايكولجية، مجلة كلية التربية للغة العربية، كلية الاندلس، جامعة الاقصر، ال عدد40، مصر.

زواهرة، زينب علي سالم،2011، الرمز في شعر فدوى طوقان، رسالة ماجستير، جامعة القدس، فلسطين.

شعبو أحمد ديب،2006، في النقد الفكر الاسطوري والرمزي، المؤسسة الحديثة للكتابة، لبنان

صرصور، فتحية إبراهيم، 2005، خصائص الاسلوب في شعر فدوى طوقان، جامعة انديانا، مجلد13، غزة–فلسطين.

صلاح، فضل،1992، بلاغة الخطاب وعلم النص، دار الشروق، ط1 القاهرة.

طوقان، فدوى،1952 وحدي مع الأيام، دار مصر للطباعة والنشر، ط1.

طوقان، فدوى، 1967، أمام الباب المغلق، دار الآداب للنشر.

طوقان، فدوى، 1993، الاعمال الشعرية الكاملة، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، ط1، بيروت.

عبد السلام، أحمد محمد،2016، جوانب النسوية البيئة في شعر فدوى طوقان وليندا هوجان،مجلد62،جامعةالفيوم.https://opde.journals.ekb.eg/article_86792.html

عصفور، جابر، 1983، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغة عند العرب، دار التنوير للطباعة والنشر، ط3، مجلد1.

الكبيسي، عبد المجيد حميد،2018، الإنسان والبيئة (رؤى بيئية تربوية)، دار الاعصار العلمي، ط1، الاردن _عمان.

الكيمي، أنس إسماعيل سكران، (2024)، الرمز في الشعر العربي الحديث. مجلة واسط للعلوم الانسانية، 20(3) ، 364-349. https://doi.org/10.31185/wjfh.Vol20.Iss3.591

مطلوب، أحمد، 1988، معجم المصطلحات البلاغية وحضورها، دار الرفاعي للنشر والطباعة، ج3، مطبعة المجمع العلمي العراقي.

هلال، محمد غنيمى،1969، النقد الادبي الحديث، ط4، دار النهضة العربية.

Sources and references

1_Ibn Manzur, 1424 AH, Lisan al-Arab, Chapter on Alif, Section on Ba and Waw, entry (B, A), Dar al-Kutub al-Ilmiyya, 1st ed., Beirut, Lebanon.https://www.alarabiahconferences.org/wpcontent/uploads/2019/09/conference_research-802789851-1436354361-1238.pdf

2_Abu Salah, Nasima Abu, 2003, The Manifestation of Symbolism in Contemporary Algerian Poetry, National Culture Creativity Association, Algeria.

3_Ahmed, Muhammad Fatouh, 1984, Symbol and Symbolism in Contemporary Poetry, Faculty of Dar al-Ulum, Cairo University, 3rd ed., Egypt.

4_Badran, Muhammad Abu al-Fadl, The Importance of Environmental Literary Criticism in Critical Studies, The Fourth International Conference on the Arabic Language.

5_Thamer, Abdul Rahman Hamid, 2019, Arabic Literature a Environment, Al-Maarif University College.

6. Jilia, Jamil, 1982, A Philosophical Dictionary in Arabic, French, English, and Latin Terms, Lebanese Book House, Beirut. Hussein, Youssef Ali, 2025,

7_ Manifestations of the Environment and its Symbolism in the Poetry of Dhu al-Rummah: A Critical Ecological Study, Journal of the Faculty of Education for Arabic Language, Al-Andalus College, Luxor University, Issue 40, Egypt.

8_Zawahra, Zainab Ali Salem, 2011, Symbolism in the Poetry of Fadwa Tuqan, Master's Thesis, Al-Quds University, Palestine.

9_Sha'bo, Ahmed Deeb, 2006, On Criticism: Mythical and Symbolic Thought, Modern Foundation for Writing, Lebanon.

10_Sarsour, Fathia Ibrahim, 2005, Stylistic Characteristics in the Poetry of Fadwa Tuqan, Indiana University, Volume 13, Gaza, Palestine.

11_Salah, Fadl, 1992, The Rhetoric of Discourse and Textual Science, Dar al-Shorouk, 1st Edition, Cairo.

12_ Tuqan, Fadwa, 1952, Alone with the Days, Dar Misr for Printing and Publishing, 1st ed.

13_Tuqan, Fadwa, 1967, Before the Closed Door, Dar Al-Adab for Publishing.

14_Tuqan, Fadwa, 1993, Complete Poetic Works, Arab Foundation for Publishing and Distribution, 1st ed., Beirut.

15_Abdel Salam, Ahmed Mohamed, 2016, Aspects of Feminist Environment in the Poetry of Fadwa Tuqan and Linda Hogan, Vol. 62, Fayoum University. https://opde.journals.ekb.eg/article_86792.htm l

16_Asfour, Jaber, 1983, The Artistic Image in the Critical Heritage and Rhetoric of the Arabs, Dar Al-Tanweer for Printing and Publishing, 3rd ed., Vol. 1.

17_ Al-Kubaisi, Abdul Majeed Hamid, 2018, Man and the Environment (Educational Environmental Perspectives), Dar Al-I'sar Al-Ilmi, 1st ed., Amman, Jordan.

18-Al-Kimi, Anas Ismail Sakran, (2024), Symbolism in Modern Arabic Poetry. Wasit Journal of Human Sciences, 20(3), 349-364. https://doi.org/10.31185/wjfh.Vol20.Iss3.591

19_Matloub, Ahmed, 1988, Dictionary of Rhetorical Terms and Their Presence, Dar Al-Rifai for Publishing and Printing, Vol. 3, Iraqi Scientific Academy Press.

20_Hilal, Muhammad Ghunaimi, 1969, Modern Literary Criticism, 4th ed., Dar Al-Nahda Al-Arabiya